العتبة العباسية المقدسة

الخميس

أسبوعية ثقافية

السنة السادسة
العدد ٣٣٥

الخميس شوال ١٤٣٢هـ ١ أيلول ٢٠١١م

تصدر عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية وحدة الدراسات والنشرات في العتبة العباسية المقدسة

كل عام وأنتم بألف خير

تهنئ العالم الإسلامي ومراجعنا العظام بمناسبة حلول عيد الفطر المبارك أعاده الله تعالى عليكم وعلى الجميع بألف خير

كلمة حق

أنّ الشيعة لا يسبّون الصحابة كما قال أعداؤهم، فهي أخذت طريقاً وسطاً وعقلانيّاً ينطبق مع الكتاب والسنّة، فلم يقولوا بعصمتهم جميعاً كأهل العامة، وكيف يقولون ذلك وفي الصحابة من زنى ومن شرب الخمر ومن قتل النفس ومن حارب سنّة الرسول ومن أشعل الفتن؟!

كان الرسول ﷺ نفسه يقيم الحدود كحدّ السرقة والزنا وشرب الخمر، فعلى من كان يقيم تلك الحدود؟! أليس على أصحابه المسلمين، وإلاّ فالكافر بعيد عن المجتمع المدني بطبيعة الحال.

ولو نظرت إلى كتب الشيعة لرأيتها مليئة بمدح الصحابة الذين لم يغيّروا ولم يتغيروا بعد رسول الله ﷺ، وتجد هذا في دعاء أئمة أهل البيت كالصحيفة السجادية للامام علي بن الحسين عليه السلام.

فهذه الضوضاء التي يُثيرها بعض الغوغاء على الشيعة ليست بأكثر من زوبعة في فنجان، وهكذا كلّ عقائد الشيعة في الواقع كلّها متطابقة مع العقل والنقل، لكن الاعراب أبوا إلاّ التهريج وجعلوا أصابعهم في آذانهم.

نعم لقد أوصانا رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى بأن نتبّع أهل بيته عليهم السلام فقال ﷺ: «تركت فيكم الثقلين، ما إن تمسّكتم بهما، لن تضلّوا بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» ، وهكذا حدّد لنا لمن نرجع بعده ﷺ، والرسول ﷺ ما كان ليخفى عليه ما سيقع في أمته من الفتن خاصة ما سيحدث بين أصحابه، ولهذا كان من غير المعقول أن يوصي رسول الله والله من وراءه بجميع الصحابة، فهذا بمثابة اجتماع النقيضين كما يقال.

وارجع إلى كتاب الله لترى قوله تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ...) المائدة ٥٥ .

المستبصر الهاشمي بن علي

كلُّ يومٍ لا تَعْصِي اللّهَ فيه فهو يومُ عِيد

هذه الحكمة العظيمة أطلقها أمير المؤمنين عليه السلام،وهي ذات معنى بليغ، فالعيد الحقيقي هو اليوم الذي يكون الإنسان فيه طاهراً من الذنوب والمعاصي،فتلك هي السعادة الكبرى حيث يلقى المؤمن ربَّه وهو طاهر من الذنوب ليفوز بسعادة رضاء الله عنه، فهذا هو المعنى الصحيح للعيد؛فقد جاء في كتاب وسائل الشيعة أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قال في بعض الأعياد : «إنما هو عِيْدٌ لمن قَبِلَ اللّه صيامَهُ وشَكَرَ قِيَامَهُ، وكلُّ يوم لا تَعْصِي اللّه فيه فهو يومُ عِيد» . وللأسف الشديد من الأخطاء الشائعة عند بعض الناس أنَّهم يظُنُّون بيوم العيد أنَّه اليوم الَّذي تباح فيه المحظورات، فيرتكب بعضهم المحرَّمات جهلاً منه بما يلزم على المؤمن فعله في يوم العيد ، وبذلك يحرم نفسه من رحمة الله ،ويكون قريباً من سخطه وعقابه، ويلهى آخرون يوم العيد فينسَون ذكر الله ، لذا ينبغي لنا أن نتمسك بنصائح وإرشادات الأئمة عليهم السلام ،لمعرفة حقيقة العيد ، و السلوك الَّذي ينبغي للمؤمن أن يسلكه فيه؛فقد جاء كتاب مستدرك الوسائل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : « اليوم لنا عيد ، وغدًا لنا عيد ، وكلّ يوم لا نعصي الله فيه فهو لنا عيد »،فيمكن أن يجعل المؤمن جميع أيام حياته أعياداً إذا لم يعص الله فيها،و ورد في كتاب روضة الواعظين: «قال الصادق عليه السلام: خطب أمير المؤمنين عليه السلام بالناس يوم الفطر ، فقال : أيها الناس!إنَّ يومَكُم هذا يومٌ يثابُ فيه المحسنون، ويخسر فيه المسيئون وهو أشبه يوم بيوم قيامتكم،فاذكروا بخروجكم من منازلكم إلى مصلاكم خروجكم من الأجداث إلى ربكم، واذكروا وقوفكم في مصلاكم ووقوفكم بين يدي ربكم، واذكروا رجوعكم إلى منازلكم في الجنة أو النار،واعلموا عباد الله أنَّ أدنى ما للصائمين والصائمات أن يناديهم ملك في آخر يوم من شهر رمضان: أبشروا عباد الله فقد غفر لكم ما سلف من ذنوبكم، فانظروا كيف تكونون فيما تستأنفون» .

وهناك أمور واجبة وأخرى مستحبة في ليلة عيد الفطر ويومه،فأمّا الواجب فهو إخراج زكاة الفطرة، وأمَّا الأعمال المستحبة التي يستحب أن يأتي بها المؤمن في العيد فكثيرة ذكرت في كتب الأدعية ككتاب مفاتيح الجنان ،ومنها قراءة دعاء الندبة وزيارة الإمام الحسين عليه السلام.

مقياس قبول الأعمال

إن لقبول الأعمال مقياسا، لا يكشف زواياه ويعرف خوالجه؛ إلا من جعل تلك الأعمال ممتثلة نصب عينيه، ظاهرة بارزة أمامه.. فمن المعلوم أن الذي يستعجل هلال العيد، ويترقب ظهوره، ينظر إلى تلك الثمار اليانعة، التي قد حان قطافها ليحصدها.. فليلة العيد تعد ليلة عظيمة القدر، وقد تضاهي وتقابل سموها ليلة القدر؛ من حيث الأعمال الكثيرة، والأذكار الجمة الواردة في هذه الليلة؛ فهي ليلة العتق من النار على كل الأحوال.

- ولا شك بأن كل إنسان يأنس بوجود حبيبه؛ فيتمنى طول مقامه، ولا يشبعه طول الحديث معه، بل يتمنى المزيد والمزيد.. ولا خلاف في أن الوقت مع هذا الحبيب قصير، يمضي سريعاً، وإن قرب الرحيل حدث ولا حرج بلوعة الفراق ولهفة المشتاق!..

والعكس صحيح، فلو حل بالدار شخص ثقيل على البال؛ لعدّ الدقائق والثواني، وضاقت به الحال، وللاحت البشرى على محياه وقت الترحال!.. ومن هنا فالذي يجد في نفسه ثقلاً بقيودات الشهر الكريم، فيؤديها على مضض؛ نراه يفرح بهلال العيد.. أما عشاق شهر رمضان فهم على العكس تماماً، حيث ترتسم الكآبة على وجوههم، ويغلبهم الحزن، وكأنهم قد فقدوا عزيزاً يصعب عليهم توديعه وفراقه.. وهذا الإمام زين العباد عليه السلام، عند رؤيته لهلال العيد، نطق بكلمات التفجع والألم، وأخذ يندب هذا الشهر وينعاه.. ومن الطبيعي جداً أن تفسر مثل هذه الحالة، بوجود السنخية والمزاوجة والارتباط الوثيق، بين شهر الله الكريم وعشاقه.

- إن البعض منا قد يحرم من بركات هذا الشهر الكريم؛ لعوائق تمنعه من صيامه وقيامه.. فتكون أيام شهر رمضان كسائر الأيام، وساعاته تمر من دون فائدة ترجى؛ متناسين أن الأنفاس فيه تسبيح، والنوم فيه عباده، (فمن تساوى يوماه فهو مغبون)!.. وقياساً نقول: بأنه مغبون من تساوى شهراه أيضاً.. إذ من المعلوم أن الإنسان كلما تقدم في العمر، ازداد رشداً وبلوغاً فكرياً أكثر في أمور الحياة.. فلماذا هذا السكون والثبات في المجال العبادي: صلاة، وصوماً، وحجاً... الخ؟!.. ليسأل المؤمن نفسه: أنه ما الفرق بين صيامه هذا العام، والعام الذي قبله، وكيف سيكون الذي يليه؛ كي يسعى لتحقيق الأفضل عاماً بعد آخر.. فتتشابه وتساوي الأعمال، دائماً ما تحكي عن نقص في القابلية والفعلية، التي لابد للعبد من تطويرها في نفسه.. ومن تعزيزها في جوانحه التي تعبر عن مدى صدق العبد في طاعة المولى عزوجل، والإخلاص في التغلب على نزواته ورغباته.

- إنه لمن المناسب جداً استغلال اللحظات الأخيرة من الشهر الكريم: بالاستجداء من الرب الكريم، وإكثار الدعاء والتضرع إليه تعالى؛ فإنها من مواطن الإجابة.. حيث تتغير الأجواء وترتفع المائدة الإلهية: فلا يعد النوم عبادة، ولا النفس تسبيحاً، ولا الدعاء مجاباً، ولا الأعمال مقبولة، والأهم من ذلك أنه يصير بين يدي الشياطين، التي تنفست الصعداء بعدما كانت حبيسة الأغلال، المملوءة بالغيظ، والتي تترقب هذه الفرصة للانتقام منه شر انتقام!.. فهل أعددنا العدة لهذه الحملة الشعواء؟!.

- ومن هنا يعد شهر شوال، من أشح الشهور وأجفاها في التقرب والعبادة.. فبعد سياحة عبادية راقية، متمثلة في أشهر الطاعة الثلاثة، تطلق الشياطين أخيراً أغلالها، وترتفع الملائكة؛ لتنقم من العبد بعدما ارتقت نفسه في ملكوت رضا الإله عزوجل.. فمثل أحدنا كمثل من تزود من غدير ماء عذب، ليواجه صحراء قاحلة قاسية، لا يجد سوى السراب والنصب فيها.. غير أنه من الممكن أن تتبدل هذه الأرض القاحلة إلى واحة غناء.. وذلك بالعمل المستمر، والكدح الدائم من أول أيام شهر شوال؛ فهو يحتاج إلى متابعة ومراقبة.. وخير المراقبة الاستمرارية في الاستغفار؛ فإنه ورد المؤمن الدائم، وليس من الضروري أن يكون عقيب ارتكاب المعصية.. إذ أن كل انشغال أو التهاء عن المولى -جل وعلا- يوجب الاستغفار.. ومن هنا ورد التأكيد على استحبابية الاستغفار -سبعين مرة- بعد صلاة العصر.. فإن ذلك كفيل بأن يجعل المؤمن يحافظ على مستوى إيمانه وارتقائه وتكامله.. فاصطناع الأجواء المناسبة في شهر شوال، تعد صورة صادقة للعبد المحب، الذي لا يطيق مفارقة محبوبه على كل الأحوال.

(المواربات الخادعة)

(تراب علي)

يلجا بعض الكتبة الى المواربة في طرح القضايا التأريخية بعد بذل الكد المضني بحثا عن ثغرة يتسللون منها ليتوهموا النوال .. وبما ان اغلب تصوراتهم خاطئة فمن الطبيعي ان تكون جميع تلك الثغرات غير حقيقية .. البعض كتب عن ظاهرة تقبع في داخل خياله المريض بما يسميه التناقض بين موقف صلح الإمام الحسن عليه السلام وبين خروج الامام الحسين عليه السلام وراح يصور المسألة على اساس التناقضات الفكرية .. وكأنها حالة تخطئ اخرى .. فهناك اساسا بعض الامور المعدة سلفا ومتوائمة مع الذهنية القبلية الجمعية التي حرفت الكثير من الحقائق ثم راحت تبني ثوابتها على المحرف ومن الطبيعي ان يكون الناتج غير سليم وعلينا قبل الدخول الى الموضوع ان ندرك تماما الفارق بين شيعة الامامة وانصار الخلافة .. الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام ابناء الموقف الصعب حيث يقول ابوهما روحي له الفدى (فان اقل يقولوا حرص على الملك وان اسكت يقولوا جزع من الموت) وبعدها يوصلنا عليه السلام الى النتيجة (نكثت طائفة ومرقت اخرى وفسق آخرون) وشخص لنا عليه السلام السبب (حليت الدنيا في اعينهم) ولما بويع الحسن عليه السلام تخلف عنه اتباع الخلافة وساموا الرشوات علينا ان نقف عند نقطة المرتكز وهو منح المكانة التي لايستحقها لمعاوية واعطاءه صفة الصحبة النبوية التي عمروها بالمعصومية مع وجود مجتمعات دخلها الاسلام الاموي دون غيره وقد هيء ماكنة الاعلام فاختلقت له الروايات وشطبت ما لاينفعها من الدين فساد المكر والخداع والفتك .. يقول الحسن عليه السلام ..

(انا إمام لوقمت وانا إمام لوقعدت) وعلة مصالحتي لمعاوية مصالحة الرسول صلى الله عليه وآله لبني ضمرة وبني اشجع .. واذا سخطتم علي بجهلكم بوجه الحكم فيه لولا ما اتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض احد الا قتل .. في قضية الإمام الحسين عليه السلام لابد ان نعرف انه هو الخليفة الشرعي وهذا حسب عقد مقرون في بنود الصلح واستخلاف يزيد خيانة وخروج عن الاطار الشرعي وهذا يعني ان مفردات هذه البنود لاتصلح مع يزيد فهي تمنح حق رجوع الخلافة الى الإمام الحسين عليه السلام بعد موت معاوية ولكون يزيد فاسقا لذلك صار الخروج اصلاحا ..

عالم النحل

هنالك أشياء كثيرة اكتشفها العلم الحديث في عالم النحل، والذي يتأمل هذه الاكتشافات يجدها تملأ مجلدات ضخمة، ولكن المؤمن تكفيه الإشارة ليزداد إيماناً بعظمة الخالق عز وجل.

ومن الأشياء العجيبة التي قرأتها الأسلوب الذي تدافع به النحل عن الخلية وكيف تحميها من الأعداء. وربما يكون من ألد أعداء النحلة هو «الدبور». فالدبور يجد في خلايا النحل وجبة شهية من العسل، ويبدأ بالهجوم.

وبمجرد الاقتراب من الخلية تبدأ النحلات بالتجمع حول هذا الدبور وتلتف من حوله وتحيط به من كل جانب، ولكن وبسبب الحجم الكبير للدبور نسبة لحجم النحلة فإن هذه المهمة تتطلب عدداً كبيراً من النحل. ويختفي الدبور تماماً وسط النحلات الهائجة والمدافعة عن بيتها وخليتها.

العجيب أن النحلات تقضي على الدبور بطريقة تقنية مذهلة! فبعد تغليف هذا الدبور بغلاف من النحل تقوم كل نحلة بهزّ جناحيها بسرعة كبيرة وهذا يؤدي إلى رفع درجة حرارة جسمها حتى ٤٧ درجة مئوية بسبب الاحتكاك، ولكن لماذا هذه الدرجة بالذات؟

إن الدرجة ٤٧ هي أقصى درجة تستطيع النحلة أن تتحملها وتعمل عندها، لأن النحلة تموت بعد ذلك عندما تصل حرارة جسمها إلى ٤٩ درجة. إن الدرجة القصوى التي يتحملها الدبور هي أقل من ٤٥ درجة مئوية، وبالتالي سوف يموت في الحال بفعل الحرارة التي تولدها رفرفات أجنحة النحل أي عندما تصل درجة حرارته إلى ٤٥ درجة، وبهذه الطريقة الحرارية يتم القضاء على الدبور وحماية الخلية!.

أسئلة حيرت العلماء

وهنا يطرح العلماء أسئلة عديدة ولا يجدون الإجابة عنها:

- كيف علمت النحلة أن جسمها لا يتحمل أكثر من ٤٧ درجة فتبلغ هذه الدرجة بالضبط؟
- وكيف علمت النحلة أن الدبور سوف يموت عندما تبلغ درجة حرارته ٤٥ درجة؟
- من الذي علم النحلة هذه التقنية المتطورة للقضاء على الخصم؟ ومن الذي زودها بجهاز لقياس درجة الحرارة فتحدد بواسطته الدرجة ٤٧ ولا تتجاوزها، ومن الذي أخبرها أنها ستموت لو تخطت هذه الدرجة؟.
- ولماذا تحمي النحلة الخلية من خطر هذا الدبور؟ وما هو الميزان الذي حددت به النحلة درجة الحرارة المناسبة، فهي أعلى بدرجتين من الحرارة التي يموت عندها الدبور، وأخفض بدرجتين من الحرارة التي تموت عندها النحلة!.

تأمل كيف أن الدبور يموت عند الحرارة ٤٥ درجة مئوية، وأقصى حرارة تتحملها النحلة هي ٤٧ درجة مئوية، فمن الذي زود النحلة بجهاز إنذار يحذرها أن تتوقف عند هذه الدرجة لأن بعدها الموت؟! وهل نجد في القرآن إجابة شافية؟

ماذا عن القرآن؟

إنها أسئلة فشل العلماء في الإجابة عنها حتى الآن، ولكن القرآن العظيم حدد لنا في آية من آياته الأسلوب الذي يجعل النحلة تقوم بكل هذه الأشياء، وهو وجود مدبر حكيم هو من أوحى إليها بهذه المعلومات، يقول تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ النحل: ٦٨ .

وفي هذه الكلمات الإلهية سر للعمليات التي تقوم بها النحلة وهو أن الله تعالى هو الذي أوحى إليها وعلمها، وهذا ما نجده في كلمة (أَوْحَى). والله تعالى لم يقل (علّم) إنما قال (أوحى) لأن النحلة لا تتعلم هذه التقنية تعلماً!!! بل هي موجودة في تركيبها وفطرتها، وهذا يدل على دقة ألفاظ القرآن.

هنالك وسائل زود الله بها النحلة لقياس درجة الحرارة وتحديد الدرجة المناسبة لقتل الدبور، وذلّل لها الله تعالى الطريق التي تسلكها في صناعة العسل وفي الحفاظ عليه وحمايته من الأعداء، وهذا ما نجده في قوله تعالى: ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ النحل: ٦٩ .

وإذا تأملنا كلمة (ذُلُلًا) نجد أنها تشير إلى أن الله تعالى هو من ذلّل لها الطريق لتنجز مهمتها في صناعة العسل الذي جعل الله فيه شفاء للناس، ولولا أن الله هو من علم هذه النحلات كيف تدافع عن عسلها لما وصلنا منه شيء!!

هل نتفكّر؟

وهذا يدعونا للتفكر في دقة صنع الخالق عز وجل، ولذلك نجد العلماء في كل يوم يكتشفون حقائق جديدة عن النحل، وهذا يدل على أن الإنسان عندما يتفكر في عالم النحل فسوف يكتشف الكثير من الحقائق، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل: ٦٩

إن الذي خلق هذه النحلة هو الذي هداها إلى هذه التقنية! يقول تعالى على لسان سيدنا موسى عليه السلام مخاطباً فرعون الذي أنكر وجود الله: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾

طه: ٥٠.

لنتأمل النص القرآني: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ، ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل: ٦٨-٦٩ .

الفرق بين البلاء الانتقامي و البلاء التربوي

إن البلاء من سنن الله تعالى في عباده المؤمنين ، ولو كان هناك لطف في الإعفاء من البلاء ، فإن الأنبياء كانوا أولى بهذا اللطف .. إذ من الواضح أن البلاء من موجبات الانقطاع إلى الله تعالى ، وعدم التثاقل إلى الأرض .. وقد ورد : أن أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الذين يلونهم ، ثم الأمثل فالأمثل..

إن لله تعالى أنواعا من البلاء ، منها : عقوبات في الأبدان ، وعقوبات في الأموال ، وعقوبات في الأنفس .. وما ضرب الله تعالى عبدا بعقوبة اشد من قساوة القلب.. إذ كيف يرى الإنسان وجه السعادة ، وهو يعيش علاقة متوترة مع واهب السعادة ، الذي بيده كل أسباب السعادة في الدنيا والآخرة ؟!..

إن البلاء على قسمين: فمنه بلاء انتقامي وآخر تربوي .. وعلامة الأول انه يأتي بعد مخالفة العبد لرب العالمين ، وخاصة مع الإصرار على الخطيئة ، فإن الله تعالى يمهل ولا يهمل .. وأما البلاء التربوي : فهو ذلك البلاء الذي يحل بالعبد من دون أن يكون مقصرا في واجب دنيوي أو أخروي .. وكم من الجميل أن يمر العبد بمرحلة قصيرة من العناء ، تعقبها سعادة دائمة !!.. وكم من القبيح أيضا أن يبتلي المولى جل وعلا عبده ، بما لا يوجب له رفع درجة في الدنيا ، ولا في الآخرة.

إن من موجبات دفع البلاء قبل وقوعه هو الدعاء قبل نزول البلاء ، فان دعاء العبد في ساعة الرخاء من موجبات قبول دعائه في ساعة الشدة والبلاء .. ومن المعلوم أن دعاء المبتلى ، إنما هو حركة طبيعية لا تكشف عن عبودية العبد ، بل يدل عن طمعه في رفع البلاء فحسب .

إن من البلاءات الكبرى في الحياة : هو أن يصاب الإنسان في دينه ، بمعنى تخلل الشك في أصول عقيدته، ليتحول بالتدريج إلى رفض لها ، وهي قمة الخذلان وسوء العاقبة في حياته .. ومن المعروف أن تراكم الذنوب الكبيرة مما يوجب هذه العاقبة الوخيمة ، وقد يستفاد ذلك من قوله تعالى : ﴿ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزؤن﴾.

إن العبد قد يكون من الذين لم يتم استحقاقهم للعقوبة ، ولكن انسه بالغافلين عن ذكر الله تعالى والعصاة من عباده ، قد يوجب تعميم العقوبة بما يشمله .. وهذا وقد يفهم ذلك من قوله تعالى : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ .. وعليه فان المضطر لمعاشرة الفاسقين - لظرف من الظروف -عليه أن يحذر سلبيات هذه المعاشرة ، مع الحرص على القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لئلا يعد من زمرتهم .

إن من نعم الله تعالى على عبده المؤمن إن يبتليه بالبلاء اليسير ليكون ذلك مقدمة لتذكيره بالدعاء الذي بدوره يدفع البلاء العظيم .. ومن هنا فانه إذا رزق العبد توفيق الدعاء بعد البلاء ، كان ذلك علامة على سرعة زوال ذلك البلاء .. وقد ورد في الحديث : انه ما من بلية إلا ولله فيها نعمة تحيط بها .

إن من الخطأ أن يرتاح الإنسان إلى تتابع النعم الإلهية عليه .. إذ لعل ذلك من صور الاستدراج الذي يراد منه إتمام النعمة والحجة على العبد قبل العقوبة .. فتأمل في هذا الحديث الذي روي عن الإمام السجاد عليه السلام ليفتح لك باب الصبر على المصائب حيث قال: إني لأكره إن يعافى الرجل في الدنيا ، ولا يصيبه شئ من المصائب .

إن من أعظم الإفراد ابتلاء في هذا العصر ، هو الحامل لهم هذه الأمة طوال العصور المتمادية .. فكم رأى طوال التاريخ من المجازر في إتباع امة جده المصطفى صلى الله عليه وآله !.. وكم يرى اليوم من صور الخذلان والضعف لدى المسلمين بما لا نظير له! .. أضف إلى حمله لهموم أهل البلاء من محبيه والمنتظرين لدولته .. أليست هذه الأمور كافيه لان يكون قلب الإمام عليه السلام مجمعا لكل الهموم والغموم ؟ .. فهنيئا لمن خفف عنه و لو بدعوة ملحة بين يدي ربه في خلوة من جوف الليل البهيم .

اتفاق الاخويين

احمد السيلاوي

في يوم من الأيام وبعد أن فرغنا من صلاة الظهر خرجت من الجامع مبكرا لإنتظار زوار ووقفت عند باب البيت أحادثهم بالهاتف وأوصف لهم البيت وأنا منشغل وإذا بسيارة الجيران تقف أمامي ابعدت وجهي عنهم للجهة الأخرى وحين هممت بالدخول إلى المنزل وإذا بأحدهم يمسك بملابس أخيه ويجذبه عن الباب الذي ستخرج منه أمهم وماكان من الأخر إلا أن فعل نفس الفعل وبدأ العراك وكلا يصرخ في الأخر ويتدافعان بطريقة جعلتني وبعض من الجيران نتدخل فورا.

أسرعنا إليهم ونحن في دهشه مما يحصل إلتفت الأخ الصغير علينا وهو ممسك بملابس أخيه ويقول لنا من أراد أن يتدخل فليحفظ حقي تقدمنا وأبعدنا أحدهم عن الأخر وقلت لهم إتقوا الله تتضاربون أمام أمكم وعلى مرأى منها ومسمع ماهي المشكلة اتقوا الله أنتم أخوة .

فرد الصغير قائلا أردت أن أحمل أمي وأدخلها إلى المنزل حسب الإتفاق بيني وبينه فهو من حملها من سريريها في المستشفى وأنزلها في السيارة ومن حقي أنا أن أحملها وأدخلها إلى المنزل .

فقال الكبير بصوت عالي ستة أشهر وأنت تخدمها وأنا في العمل خارج بلدي وتواعدني كثيرا بأن تأتي بها إلى بيتي ولكنك لم تفعل أنت خدمتها أكثر مني .

فتحنا أفواهنا والغضب يكاد يعصف بعقلي الإثنين وكل واحد منهما مستعد أن يموت في سبيل حمل أمه لم أستطع أن أحبس دموعي ولكننا حاولنا بشتى الطرق أن نحل الموضوع إلا أن الصغير كان متمسكا بحقه يعلم الله إننا وقفنا أكثر من ساعة ونحن نحاول أن نحكم بينهم في هذا الأمر وكلما نظرت إلى عين أحد الجيران وجدتها غارقة في الدموع من كثرة المواقف اللتى ذكروها وكل واحد يحكي أن الأخر فعل لها وعمل لها وأنا لم أفعل حتى قال الصغير حرمتني من حملها في الحج وإستأثرت بهذا لنفسك وحكي الكبير وهو يعاني كيف أن ظروف العمل تجبره على التقصير في خدمة والدته وأنه أولى بمثل هذه الأمور خاصة خارج المنزل ليعوض مافاته من خدمة والدته وغيرها الكثير

أخيرا عرفنا أن هناك إتفاق مسبق بينهما وأنهما يقومان على خدمة والدتهم يوم ويوم أي أن كل منهما يأخذ يومه في خدمة والدته والإختلاف يكون دائما حين يكون هناك خروج لها من المنزل إما للمستشفى أو للعمرة أو للزيارةأو للتنزه.

لم نصل لحل المشكلة معهم ونحن واقفين لم نجد من أحدهم تنازلا حتى كدت أن أحمل أمهم أنا وأوصلها إلى شقتهم كي نريحهم ونستريح قاطعنا إمام المسجد وقد وصل إلينا وألقى السلام وقال مخاطبا الأخ الأصغر أليس بينكم إتفاق وأنا شاهد عليه فعرفنا أن إمام المسجد قد إطلع على حالهم وعرفت مؤخرا أنه وجدهم وهو خارج من بيته لصلاة الفجر على هذه الحالة وحكم بينهم وقد توصلنا معهم لهذا الحل الذي رأيته وهو أن يحملاها الإثنين سويا حين يكون هناك خروج لها من المنزل أو عودة إلى المنزل.

إن المؤمن المرضي عند إمام زمانه، هو ذلك المؤمن الذي يمشي على خط الأنبياء والمرسلين، الذي يمشي على خط أجداده.. فهم ليس لهم قرابة مع أحد، هم مظهر التوحيد والاتباع الكامل لمنهج رب العالمين.. ومضمون أحاديثهم مضمون واحد، وهذا يدل على أنهم نورٌ واحد.. لم نعهد في تاريخ البشرية سلسلة متواصلة أباً عن جد عن جد عن جد، وكلهم في منهج واحد، غير أئمة أهل البيت عليهم السلام.. الأنبياء جميعا لا عقب لهم مباشرةً، ولكن هل من الصدفة أن يأتي اثنا عشر إماما، والملفت أن النبي بشر باثني عشر خليفة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (يكون بعدي اثنا عشر خليفة؛ كلهم من قريش)..

رب العالمين ما ترك هذه الأمة سدى.. مضمون واحد يرويه الإمام الصادق عليه السلام، وإذا بنفس المضامين نسمعها عن جدتهم فاطمة الزهراء عليها السلام؛ نعم كلهم نورٌ واحد ومنهجٌ واحد.

ومن هذا العلم هذا الحديث المروي عن الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف: (ومن أخلص العبادة لله أربعين صباحاً، ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه).. نستنتج من هذا الحديث بعض الدروس، منها:

الدرس الأول: يجب حمل هم النفس.. إن البعض عندما يصل الحديث إلى تربية النفس، وبناء النفس، وإلى القلب السليم؛ فإنه قد لا يصغي للحديث، ويقول: نحنُ أين وهذه المقامات أين؟.. تكلم عن الوضوء والغسل والتيمم؛ هذا الذي أنا مبتلى به.. وأما الحديث عن بناء النفس وتهذيبها؛ فهذا لهُ رجاله.. وأين نحنُ من هؤلاء الرجال!.. وهذا أول خطأ يرتكبهُ الإنسان، بل هذا ظلم، وقد قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾؛ أي دفنها.. والدس تعبير كان يستخدم في الجاهلية، لمن يدفن ابنته وهي حية.. يتعامل الإنسان -بعض الأوقات- مع نفسه كتعامل الجاهليين مع بناتهم، كانوا يدفنون بناتهم وهن أحياء، ونحنُ أيضاً ندفن أنفسنا ونحنُ أحياء.. هذه النفس، هذه الروح التي يقول عنها ابن سينا: (هبطت إليك من المحل الأرفع؛ ورقاء ذات تعزز وتمنع، هبطت على كره إليك، وربما كرهت فراقك وهي ذات توجع).. الإنسان لا يختار روحه، هذه الأمانة الإلهية وصلت إلينا.. لنرجعها ليس فقط سالمة؛ وإنما كاملة مكملة.. بعض الناس يموت على غير الفطرة، يموت على الملكات الخبيثة.. كان طفلا بريئا، ولكن عندما يموت بعد ستين سنة، وإذا به من أكبر المجرمين؛ أليست هذه جريمة بحقه؟!.. هذه الروح، الأمانة التي أُعطيت لك؛ على الأقل أرجعها لبراءة الطفولة، هذا أضعف الإيمان!..

وعليه، فإن من هموم المؤمن الكبرى، أن يبني هذا البناء.. البعض من المؤمنين عندما يسمع بالصدقة الجارية، يقول: يا ليتني كنت ثرياً؛ لأبني مسجدا.. ومن قال بأن بناء النفس ليس بأقل عند الله من بناء المسجد؟!.. المؤمن أشرف من الكعبة، (الإنسان بنيان الله في الأرض، ملعون من هدم بنيانه).. الذي يبني هذا البنيان الباطني، فهو عند الله أعلى وأشرف من بناء المسجد.. بناء المساجد يحتاج إلى نقود، وإلى طوابيق، وإلى حديد؛ وإذا بالبناء يرتفع.. ولكن بناء النفس وما أدراك ما بناء النفس!.. أحد العلماء الماضين رأى دابة تحمل ثقلا على ظهرها، وقد أوصلت الأمانة إلى المحل المقصود.. أخذَ يبكي، قيل لهُ: ممَّ بكاءك؟.. قال: هذه الدابة أدت وظيفتها في عالم الوجود، خلقها الله لتحمل أثقالكم، وقد حملت ثقلها إلى المنزل، وأنا لم أحمل ثقلي إلى منزلي.. هذه الدابة حققت الهدف من الخلقة، وأنا بني آدم ما حققت الهدف من خلقتي.. النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بنى نفسهُ فصار خاتماً للأنبياء.

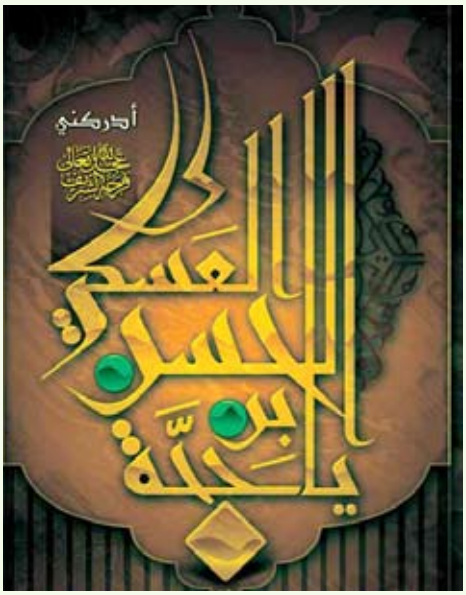

فإذن، إن أفضل مشروع في زمان الغيبة، أن يبني الإنسان نفسه، لتصبح سراجا منيرا، وشمساً مشرقة!.. المؤمن عندما يصل إلى مرحلة من مراحل الإيمان الكبرى، يربي الناس بنظراته، وبدعواته في جوف الليل.. أو تعلم أن المؤمن في بعض الحالات يستغني عن الحديث مع أهله، ومع أولاده؟!.. في جوف الليل ينادي ربه يقول: يا رب، أسلمتك أهلي وذريتي، كما قال إبراهيم -عليه السلام- عندما جعلهُ الله إماماً للعالمين؛ قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾؛ أي: أنا إمام، فلك الشكر.. ولكن هل من الممكن أن تجعل من ذريتي أئمة؟.. دعوة في جوف الليل، تكفيك الكثير من الكلام مع الذرية والأهل.. بعض العلماء كان يجلس مع بعض محبيه مدة ساعة ولا يتكلم بكلمة واحدة، ينظر إليه بنظراته يقلب كيانهُ.. نعم، (اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه يرى بنور الله).. إذا وصل الإنسان إلى هذه المرحلة من الممكن أن يربي أمة بنظراته، روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)، من زمان الغيبة إلى يومنا هذا، على رأس كل قرن هنالك شخصية مجددة للإسلام، ومجددة لخط أهل البيت.. نعم، شخص واحد يأتي ويجدد الدين في كُلِّ قرن، وما ذلك على الله بعزيز!..

الخميس

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٢١٩ لسنة ٢٠٠٩
زورونا على الموقع www.alkafeel.net . راسلونا على nashra@alkafeel.net
اتصلوا بنا: الهاتف / بدالة ٣٣٣٦٠٠ داخلي ١٦٢

تحرير: السيد محمد العطار
تصميم وإخراج: احمد السيلاوي